مجلـــة كليـــة التربيـــة
العـــــدد الرابع والثلاثون
شباط / ٢٠١٩

الاستلزام الحواري وأثره في اتساع المعنى القرآني

أ.م.د.عماد جبار كاظم الباحثة: زينب سليم عيدان
جامعة واسط ــــ كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدِّمة

تحظى التَّداوليَّة بأولويَّة خاصة في فهم القرآن؛ كونه خطاباً تنتظمه بنية كلية، يجب أن يسعى المتلقي إلى اكتشافها عبر إدراكه للعلاقات التي تشكل النِصّ وتحقق اتساقه وانسجام أجزائه عبر عنصر السياق الذي يُعدّ ضمن العناصر التداولية؛ ولذلك يجب النظر إليه في عملية الإنتاج اللغوي. وبذلك سيكون أدب التأمل صفة خاصة تتعلق بإجراءات الرسالة النصية، فضلاً عن استيعابها لفهم النّص القائم على الاتساع والإعجاز. ولكون التداولية تبحث عن المعنى التواصلي، فحينئذ سأدرس التداولية مفهوماً، بالإضافة إلى مفهوم الاستلزام الحواري، وأنواعه، وسأدرس أيضاً علاقة الاستلزام الحواري بالتكرار.

ABSTRACT

The deliberation has particular importance in understanding the Quranic speech and reaching its goals by seeking to realize and discover the relationships that form the text and achieve its cohesion. The knowledge of the purposes of the speech requires the adoption of the evidence (verbal and current) and to communicate and repot between the parties of the speech. The text has two meanings ,one of which is apparent ,the one who initiates the understanding and the other is hidden . The speaker dose not declare this. This is about the vast, but whit more meditation , management and thinking he needs general meditation and an accurate accommodating to understanding the text based on the expansion and the inimitability, and in addition to the evidence (verbal and current)the text appears to be multiple.

The dialogical invocation could be detected through indirect or implicit communication. It is necessary to rely on the context upon applying on the text of the Quran to find out the truth of the speech event. The dialogic invocation consists of many principles in one dialogue. When one of these principles is violated, an expansion to the meaning occurs as the meaning changes from the literal meaning to received meaning.

أولاً: التَّداوليَّة:

التَّداوليَّة مصطلح جديد ازدهر في مساحه واسعة من مساحات الدرس اللساني الحديث والمعاصر، يهتم بدراسة استعمال اللّغة، ويعود مصطلح التداولية (pragmatics) بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس) الذي استخدمه سنه ١٩٣٨، دالاً على فرع من فروع ثلاثة[١]، يشتمل عليها علم العلامات، أو السيمية وهذه الفروع:

١- علم التركيب: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
٢- علم الدلالة: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء، التي تدلّ عليها أو تحيل إليها.
٣- التداولية: والتي تهتم بدراسة العلامات بمستخدميها أو مفسريها.

على أن التَّداولية لم تصبح مجالاً يُعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعه اكسفورد، هم: أوستين وسيرل وكرايس.

فأقدم تعريف لها هو تعريف (تشارلز موريس) سنة(١٩٣٨)، إذ يقول: "إنَّ التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[٢]، وهذا تعريف عامّ يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي، وذلك بوصف التداولية جزءاً من السيميائية، وهناك تعريف آخر لـ(ماري دبير) و(فرانسوا ريكاناتي)، وهو أن التداولية:"دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية"[٣]، فهي تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها، وعرفها (فرانسيس جاك) بقوله:"تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً"[٤].

وقد حدد جورج يول[٥]، جملة من التعريفات، حاول عبرها رسم حدودها وامتدادها، إذ يقول: إنَّ التداولية تُعنى بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم، ويفسره المستمع لذا فإنَّها تهتم بتحليل ما يعنيه الناس من ألفاظهم أكثر من اهتمامها ممّا يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ، وعليه فإنَّها: دراسة لمقاصد المتكلم، إذ إنَّ التداولية: تُعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والسامع، فإذا قال شخص:أنا عطشان فقد يعني: أحضر لي كوباً من الماء وليس من اللازم أن يكون إخباراً بأنَّه عطشان فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر ممّا تقوله كلماته[٦]، فهي إذن دراسة اكتشاف السامع لمقاصد

المتكلم، ويقتضي هذا الميدان من الدراسة بالضرورة تأويل ما يعنيه الناس ضمن سياق محدد وكيفية تأثير هذا السياق على ما يُقال، ويتطلب أيضاً التمعن في الآلية التي ينضم عبرها المتكلمين ما يريدون قوله وفقاً لهوية الذي يتحدثون إليه ومكانه وزمانه وتحت أية ظروف، ومن ثم فإنَّ التداولية،هي: دراسة المقاصد السياقية ويقتضي في هذا المنهاج أيضاً التعمق قي الكيفية التي يصوغ عبرها المستمعين استدلالات حول ما قيل؛ للوصول إلى تأويل المعنى الذي يقصده المتكلم. بإمكاننا القول إنَّ التداولية دراسة المعنى الخفي ومن ثم فإنها: دراسة كيفية إيصال أكثر مما يُقال، وهذا يفهم من تحليل ما يقصده المتكلمون، بوساطة ما يستعملونه من تعابير في سياقها العام، فالمقصود دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم وليس المعنى التركيبي الحرفي، فيُعنى بتأويل ما يقصده المتكلمون، من وراء أقوالهم في سياق محدد وأثر السياق فيما يُقال اعتماداً على نوع الأشخاص الذين يخاطبونهم ومكان الخطاب وزمانه وظروف إنتاجه[٧]، وعليه فالآليات التأويلية التي يستعملها المخاطب، لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه تقوم على فرضية تنبني على مقاصده إذ بدونها لن يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يوجه إليه[٨].

فأوجز تعريف للتداولية، وأقربه إلى القبول هو:" دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما"[٩]، ومن المفيد أنْ نشير إلى ما ذكره (جون ديبوا) حول التداولية وهو قوله:"نجد تحت التداولية من حيث هي منهج توجّهات مختلفة ففي البدء كانت تعني بخصائص استعمال اللغة، أي الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه...، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية،ثم تحولت فيما بعد مع (ج- ل أوستن) إلى دراسة أفعال اللغة،إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري"[١٠]، وعلى الرغم من تعدد المصطلحات الدالة على التداولية، فقد اشتهر مصطلحان عن بقيه المصلحات الأخرى هما: مصطلح التداولية: وهو مصطلح عربي، ومصطلح آخر غربي (فلسفي)، وهو مصطلح البراجماتية وهو تعريب للمصطلح (pragmatism)، إذ يقول نعمان بوقرة:"وهناك من يستعمل مصطلح اللسانيات التداولية للدلالة على البراجماتية، وهي تعني عند بعضهم (البراكسيس) وتهتم بإدماج السلوك اللغوي داخل نظريه الفعل، وتولي أهمية بالغة للجانب التواصلي للغة والتفاعل بين الأعضاء الحية"[١١].

ولتداولية الخطاب معنيان هما:

١- المعنى الحرفي.

٢- المعنى المستلزم.

وهما نمطان لمقاصد الخطاب:"وقد يعبر عنها تبعاً للسياق بمقصود النص، أو مقصود الآية، أو مقصود الحديث، ويستعمل هذا الاصطلاح خاصة عندما يتوارد على النص الشرعي معنيان يكون أحدهما غير مقصود والآخر هو المقصود وقد يكون المعنى الأول الظاهر وهو المتبادر إلى الفهم، ولكن بمزيد من التأمل والتدبر وبالاحتكام إلى القرائن التفسيرية المساعدة، يتبيّن أن للنص مقصوداً غير ما يتبادر إلى الذهن من ظاهر الألفاظ، فيقال حينئذٍ المقصود كذا أو مقصود النص كذا"[١٢]، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز[١٣] .

ثانياً : الاستلزام الحواري:

عنت الدراسات التَّداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، لكن اتفق الباحثون على أربعه جوانب وهي:الاشاريات، والافتراض المسبق، والأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري(*).

والاستلزام الحواري: هو أمر آخر يتعلق بالاتساع، مجال ثانٍ يتسع فيه الخطاب من مجال أول لا يصرح به المتكلم ولكنه يضمر في البنية العميقة للجملة، فيوجد خطاب اعتيادي واستلزام حواري، فالخطاب الاعتيادي عندما يتحول إلى استلزام حواري يحصل فيه اتساع.

وتُعدّ دراسات الفيلسوف الامريكي (كرايس) التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة ١٩٦٧م، المنطلق الأساس لنشأة مفهوم الاستلزام الحواري، إذ قدَّم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية التي تقوم عليها[١٤]، وذهب (كرايس) إلى أنَّ العملية التواصلية تقوم على مبدأ عام سماه (مبدأ التعاون الحواري) وقد كانت نقطة البدء عنده (كرايس) هو أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فقد جعل كلّ همه إيضاح الاختلاف بين ما (يُقال) وما (يُقصد) أو ما يطلق عليه (المعنى الصريح والمعنى الضمني)، فما يُقال: ما تعنيه الكلمات أو العبارات، وما يُقصد: هو ما يريد المتكلم أنْ يبلغهُ السامع بطريقه غير مباشرة اعتماداً على أنَّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد كرايس أن يقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح

وما يحمله من معنى متضمن، فنشأت عنده ظاهرة (الاستلزام الحواري) الذي معناه أن يقول المتكلم شيئاً ويعنى شيئاً آخر وهو أنْ يتعلق:"الأمر بأقوال يرمي عبرها المتكلمين إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات السخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى (equivocate)"[١٥]. ولاحظ (كرايس) أنَّ جمل اللغات الطبيعية، يمكن في بعض المقامات أن تدل على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي أو معناها الحرفي[١٦]، إذ لا يتأتى مما تتضمنه الجملة في شكلها الظاهر بل هو معنى آخر، يرتبط بكل ما يحيط بإنتاجها من سياقات، ويدرج كرايس ذلك في تصنيف عام للمعاني التي تدلّ عليها العبارات، مثلاً الحوار الذي يحصل بين (أ- ب) .

أ- لم يبق لدي أي بنزين.

ب- توجد محطة على بعد أمتار.

ففي هذا الحوار الذي جرى بين شخصين (أ- ب) ليس المراد بأخبار المتلقي عن نفاذ ما لديه من بنزين، وهو المعنى الظاهر(الصريح) وإنما قصد طلب المساعدة وهو المعنى الضمني، وأنَّ الحوار(ب) هنا ملتزم بالمبدأ التعاوني، وهو أنَّ المحطة ليست فقط على بعد أمتار بل إنها مفتوحة وتبيع البنزين، وهكذا تفسر المعاني الضمنية بأنها:"جوانب مقاصدية من المعنى ولها خاصيات واضحة الملامح، وهي مستقاة جزئياً من المعنى المتواضع عليه أو المعنى المباشر للقول حسب استعماله في سياق محدد مشترك بين المتكلم والمخاطَب"[١٧] .

أنواع الاستلزام :

ذهب كرايس إلى أنَّ الاستلزام نوعان: استلزام عرفي، واستلزام حواري. فالاستلزام العرفي قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب، ومن ذلك مثلاً في الانجليزية (but)، ونظيرتها في اللغة العربية (لكن) فهي هنا وهناك تستلزم دائماً أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع مثل:

My friend is poor , but honest ، ومثل: زيد غني لكنه بخيل. وأما الاستلزام الحواري فهو متغير دائماً، بتغير السياقات التي يرد فيها[١٨].

ثالثاً: الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة:

فرق سيرل بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، إذ ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر مما تحمله الكلمات؛ اعتماداً على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما سواءً كانت لغوية أم غير لغوية، إضافة إلى قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقل والتفكير، ويثير مفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة مسألة امكانية قول شيء من جانب المتحدث، يحمل ما يقول من معنى كما يحمل معنى إضافياً آخراً[١٩]، فلو أني مدعو على غذاء مثلاً ونظرت إلى رفيقي قائلاً: هل تناولني الملح، هو ملفوظ لا يطرح المتكلم استفهاماً حول مقدر المخاطب تقديم الملح له[٢٠]، لكن هو طلب تأدب، يعرف ذلك بوساطة مقامات سياقيه معينة، فهذه الجملة تحمل المعنى المستلزم الإضافي(الطلب)، بالإضافة إلى معناها الحرفي(الاستفهام)، والأفعال الانجازية غير المباشرة عند(سيرل)،لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الانجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم. والمشكلة في هذا النوع كيف يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أن يسمع المخاطب شيئاً له معنى ويفهم منه معنى آخر، وقد حاول سيرل على أن يحل هذا الإشكال بمبدأ التعاون الحواري بين المتكلم والسامع وما عند المخاطب من علم بجوانب الموضوع ثم بما اسماه إستراتيجية الاستنتاج عند السامع التي تمكنه من الوصول إلى المعنى غير المباشر[٢١]، بالإضافة إلى الاعتماد على قواعد المحادثة في تعاون كل من المتكلم والسامع في أن يفهم كل منهما الآخر[٢٢]، ومفهوم الاستنتاج الذي نقصده والذي يتسم بالعمومية يتصل بتلك العملية التي يجب أن يقوم بها السامع، للانتقال من المعنى الحرفي لما هو مكتوب إلى ما قصد المتكلم من وراء الخطاب، والنظرة العامة على سبيل المثال إلى تأويل قول من قيل المثال(أ) وهو جملة جاءت للتعبير عن طلب غير مباشر هي أن السامع قد انتقل من المعنى الحرفي إلى معنى معين نجده مثلاً في (ب) وذلك عن طريق عملية استنتاج لما قصد المتكلم قوله:

أ – إنَّ الجو بارد حقاً هنا وهذا الشباك مفتوح.

ب – اقفل الشباك من فضلك.

أي أنَّ الجملة (أ) بعبارة أخرى لا تعني (ب)، وأنَّ السامع بالأحرى وهو يتلقى الجملة (أ) في سياق محدد أن يستنتج بأن المتكلم قصد بها ما جاء في (ب)، وللتدليل على أن هناك عملية استدلال أو استنتاج من نوع ما لابدّ منها في تأويل صيغ الطلب غير المباشر[٢٣]. وقد لفت سيرل إلى نوع آخر

من الأفعال الكلامية غير المباشرة يرتبط بما يسمى بـ(الاستلزام الحواري) وأصبح الآن نظرية متكاملة في إطار التداولية والنحو الوظيفي، ولا تحمل الأقوال المباشرة إلا معنى واحداً وهو المعنى المباشر، أما الأقوال غير المباشرة فتحمل معنيين معناها المباشر ومعناها غير مباشر (المجازي) ويتضح هذا النوع من الأفعال: المحاورة القصيرة الآتية بين الطالب ورفيقه:

أ – إلا تزورني الليلة .

ب – سأمتحن صباح غد .

الفعل الانجازي (سأمتحن صباح غد)، ليس جواباً مباشراً عن الطلب، لكن فُهم منه معنيان أحدهما مباشراً وهو الإخبار بموعد امتحان المخاطب، والآخر غير مباشر وهو: الاعتذار عن عدم تلبية الدعوة، والفعل الانجازي غير المباشر بنوعيه محول عن الفعل الانجازي المباشر، ومن ثم فإنَّ الفعل الانجازي غير مباشر يتضمن الفعل الانجازي المباشر ولا ينعكس[٢٤].

وبالنظر إلى هذا نلاحظ وجود جمل تحمل تأويلين أو فعلين لغويين وهما: فعل لغوي مباشر، وفعل لغوي غير مباشر، قال تعالى:" ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾"[٢٥]، فالآية الكريمة تنجز فعلين مباشرين: الأمر والنهي، يستدل عليهما بقرائن بنيوية(لا الناهية)،وصيغة افعل، غير أنَّ المنجز في الآية الكريمة في السياق القرآني الذي وردت فيه ينجز فعلاً لغوياً غير مباشر، يتمثل في المعنى المشتق من المعنيين الأصليين ونعني به معنى الدعاء، وقد سمّى كرايس هذه الظاهرة بالاستلزام الحواري، وعليه فإنَّ الآية الكريمة تحمل بالإضافة إلى قوتيها الانجازيتين الحرفيتين: الأمر والنهي المدركة مقالياً قوه انجازية مستلزمة مقامياً وهي الدعاء[٢٦].

وقد انتهى سيرل في دراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة إلى رصد خصائص عدة جديرة بالاهتمام تتمثل في :

أ- يمتلك المنطوق الواحد قوتين انجازيتين اثنين إذ يؤدي فعل انجازي أداء غير مباشر عن طريق أداء فعل آخر .

ب- تعتمد القوه الانجازية غير المباشرة اعتماداً أساسياً على العرف، فهو الذي يعطي الفعل الانجازي الحرفي معنى آخر معبراً عن مقصد المتكلم .

ج- في الأفعال الكلامية غير المباشرة يبلغ المتكلم المتلقي أكثر مما يقول عن طريق الاعتماد على خلفية المعلومات المتبادلة بينهما: لغوية وغير لغوية، بالإضافة إلى اعتماده على قوه الإدراك والاستدلال العام عند المتلقي[٢٧].

رابعاً : شروط الاستلزام الحواري:

تنطلق فكرة الاستلزام الحواري على أساس حوار تداولي للغة المستعملة بين المتخاطبين، وتقوم عملية التخاطب الحواري بين طرفي الخطاب على قواعد ومبادئ عامة تساعد على إيصال الحوار وتبادله بين المتخاطبين يطلق على هذا المبدأ هو: مبدأ التعاون.

مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه:

لقد عرف المبدأ التداولي الأول للتخاطب باسم (مبدأ التعاون) وورد نص هذا المبدأ في اللسانيات الحديثة عند الفيلسوف الأمريكي (بول كرايس)، إذ ذكر أول مرة في دروسه المرقونة بعنوان(محاضرات في التخاطب) ثم ذكر ثانياً في مقالته الشهيرة (المنطق والتخاطب).

وصيغه هذا المبدأ: ليكن انتهاضُك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه، فتبيّن أن هذا المبدأ يجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخل فيه، وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل دخولهما في الحوار أو قد يحصل تحديده في أثناء الحوار[٢٨]، فانطلاقاً من هذا المبدأ حدد الفرضية الأساسية فيما مفاده أن التفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها بمقتضى التعاون القائم بين أطراف الحوار، وهو ما يتطلب أن يكشف المتحاورون عن مقاصدهم أو على الأقل التوجه العام لهذا المقاصد، وبذلك افترض منذ البدء وجود تعاون بين أطراف الحوار على تحقيق المطلوب[٢٩].

وقد صاغه أحمد المتوكل على الشكل الآتي: "اجعل تدخلك مطابقاً لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تساهم فيه، في المرحلة التي تتدخل فيها"[٣٠]، ومن هنا يؤدي مبدأ التعاون إلى التواصل والتفاعل بين المتخاطبين عن طريق اللغة، فيقتضي هذا الفعل التواصلي من المتخاطبين عمليتين متوازيتين: الإنتاج والتأويل،إذ يحيل الإنتاج إلى التلفظ الذي يرتبط بالمتكلم بالدرجة الأولى في حين يتطلب التأويل من السامع الاستناد إلى وسائل عدة لسانيه وغير لسانيه[٣١].

وبعد تحديد كرايس للمبدأ العام عمد إلى تفريعه لمجموعة من القواعد الحوارية[٣٢]، حددها بما يأتي:

١- **قاعدة الكم:** وتتفرع بدورها على قاعدتين هما .

أ- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.

ب- لا تجعل إفادتك تتجاوز أو تقل عن الحد المطلوب .

٢ - قاعدة الكيف:

والقصد بها منع ادعاء الكذب أو إثبات الباطل، ولهذا يطلب من المتكلم إلا يورد من العبارات سوى التي وقفت على دليل يثبت صدقها وقد تم تفريعها إلى:

ا - لا تقل ما تعلم خطأهُ.

ب- لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

٣ - قاعدة المناسبة أو الملائمة:

وهي تقتضي منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، أي يراعي علاقة المقال بالمقام فيقتضي أن يكون الإسهام في الحوار المتبادل مناسباً وملائماً.

٤ - قاعدة الجهة أو الصيغة أو الطريقة:

وقد تختلف عن سابقاتها من حيث كونها لا ترتبط بما قيل بل بما يراد قوله، والطريقة التي يجب أن يقال بها، وهي تهدف إلى تجنب الاضطراب والملل والإيجاز المخل في الحوار، وهي ترتبط بالقاعدة الأساسية التي نعبر عنها بـ(التزم الوضوح) وتتفرع إلى:

أ- اجتنب الالتباس.

ب- اجتنب الغموض.

ج - لتتكلم بإيجاز.

د - لترتب كلامك أو كن منظماً.

وقد أشار العياشي ادراوي إلى: أنَّ هذه القواعد تستهدف من وجهة نظر كرايس مبتغى واحداً يتمثل في ضبط مسار الحوار بحيث يؤكد على أن احترام هذه القواعد بالإضافة إلى المبدأ العام، هو السبيل الكفيل بجعلنا نبلغ مقاصدنا، إذ يفضي كل خروج عنها أو عن إحداها إلى اختلال العملية الحوارية وفي هذه الحالة على المحاور أن ينقل كلام مخاطبه من معناه الظاهر إلى المعنى الخفي الذي يقتضيه المقام، وهو ما درسه تحت مفهومالاستلزام الحواري، ودرس مسألة القصد التي وصفها من الخصائص الأساسية للخطاب فكل حوار يتطلب استحضار المقاصد حتى يقوم تعاون بين المتحاورين ويفهم كلّ منهما الآخر وفي الوقت نفسه يتلاءم الملفوظ مع السياق[٣٣]. وقد برهن كرايس

على الترابط الحاصل بين مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه وبين الاستلزام الحواري، إذ إنه ينجم عن خرق قاعدة من هذه القواعد مع عدم التخلي عن مبدأ التعاون[٣٤]، ولا يخفى أن مبدأ التعاون قد فتح باباً واسعاً في تطوير التداوليات اللغوية وتنويع الدراسات المتعلقة بموضوع التواصل الإنساني[٣٥] .

ويمكن أن نسوق أمثله على ذلك: ولعل من الأمثلة على خرق قاعدة الكم، الحوار الآتي: بين الأم وولدها .

أ– هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

ب– نعم اغتسلت .

ففي هذا الحوار خرق لمبدأ الكم؛ لأن الأم سألته عن أمرين، فأجاب عن واحد، وسكت عن الثاني، فإجابته أقل من المطلوب.

فما يستلزمه الحوار أن تفهم الأم انه لم يضع ثيابه في الغسالة، ولم يرد أن يجيب بـ(نعم)، حتى لا تفهم شيئاً لم يقم به، فحصل تأويل واتساع على حساب أنّه لم يعطِ جواباً كاملاً. وإنَّ الاستلزام الحواري ينجم عن العدول عن أحدى القواعد المتحكمة في الحوار اللغوي مع التشبث بمبدأ التعاون، مثال ذلك الخروج عن مبدأ الكيف، فعندما يقول سيد لعبده: لا تطع أمري، يتمثل الخرق في أن المساهمة الحوارية غير مطابقة لما يجول بخاطر المتكلم، ذلك انه لا يقصد إلى النهي عن الطاعة؛لأن فعل عدم الطاعة متحقق، وإنما يقصد إلى معنى آخر يتلاءم والمقام الذي أنجزت فيه الجملة وهو معنى التهديد[٣٦].

وحوار آخر بين تلميذ وأستاذ وكلاهما انجليزي:

أ – طهران في تركيا . أليس هذا صحيحاً يا أستاذ؟

ب – طبعاً ولندن في أمريكيا.

فيقتضي إلا يقول ما يعتقد انه غير صحيح وما لا دليل عليه، فهنا حصل خرق لقاعدة الكيف فما يستلزمه الحوار أنه قصد المتكلم شيئاً غير ما تقوله كلماته، وهو أن جواب التلميذ خاطئ، ولكن قال لندن في أمريكيا ليدل على جهل التلميذ، فأحتمل الحوار (ب) تأويلاً ومعنى واسعاً على حساب أن جوابه خطأ (طهران ليس في تركيا) لكنه قال ذلك ليدلّ على أنه جواب التلميذ غير صحيح.

وحوار آخر بين أستاذين(أ – ب):

أ – هل الطالب (س) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم علوم القرآن؟

ب – أن الطالب (س) لاعب كرة ممتاز.

إذ الجملة الثانية تدلّ على معنيين في الوقت نفسه، المعنى الحرفي هو كون الطالب لاعب ممتاز، والمعنى الاستلزامي هو كون الطالب غير مستعد لمتابعة دراسته في قسم علوم القرآن، فالإجابة الثانية غير مناسبة للسؤال الأول، نتج خرق لقاعدة المناسبة(٣٧).

وحوار آخر بين رجلين:

أ – أين زيد؟

ب – ثمة سيارة صفراء تقع أمام منزل عمرو.

إذ الجملة الثانية غير مناسبة للسؤال الأول، فنتج خرق لقاعدة المناسبة ولكن السامع في ضوء مبدأ التعاون يسأل نفسه ما هي العلاقة بين وقوف السيارة الصفراء والسؤال عن مكان زيد، ثم يصل بهذا القول إلى إبلاغه رسالة بأنَّ إذا كانت ثمة سيارة صفراء فلعلّه عند عمرو.

وحوار آخر بين رجلين:

أ – ماذا تريد؟

ب– قم واتجه إلى الباب وضع المفتاح في القفل ثم أدره ناحية اليسار ثلاثة مرات، ثم ادفع الباب برفق، فالجملة الثانية فيها غموض ولبس، يكفي أن يُقال: افتح الباب، لكنه خرق قاعدة الطريقة .

ولكن في هذا الحوار يستوفي القواعد الحوارية كلّها إذ يقول زوج لزوجته :

ا – أين مفاتيح السيارة؟

ب – على المائدة .

إذ إنَّ مبدأ التعاون والقواعد الحوارية كلّها متحققة في هذه المحاورة، فأجابت الزوجة إجابة واضحة تتحقق بها كلّ القواعد. والاستلزام الحواري هو أن يرد فيه المخاطب على المتكلم بما لا يصح حرفياً أن يكون رداً عليه، ولا يمكن إدراك ذلك إلا بأنواع من الاستدلال يقوم به المتكلم ليفهم ما رد به المخاطب، وقد يقع ذلك من المتكلم والمخاطب معاً في حوار واحد. وإنَّ بن أبي الإصبع المصري(ت٦٥٤هـ)، قد ذكر للاستلزام الحواري مصطلحاً آخر غيره، وهو مصطلح (الحيدة)، وقد عرفها بقوله هو: "أن يجيب المسؤول بجواب لا يصلح أن يكون جواباً عما سُئل عنه"(٣٨).

نحو قوله تعالى:"﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴿ ٧٢ ﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴿ ٧٣ ﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴿ ٧٤ ﴾"(٣٩)، تحمل هذه الآيات محاورة بين النبي إبراهيم (عليه السلام) وأباه وقومه، كان الغرض منها إثبات وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، فبدأ الحوار بقوله تعالى:"{}"، فهذه الآية الكريمة تحمل مقصوداً آخر غير ما هو موجود في تركيبها، فالسؤال هنا استفهامي والنبي إبراهيم

(عليه السلام) على دراية بما يفعلون، لكن قصد معنى آخر مستلزم وهو أنَّه غير راض على ما يفعلونه، استعمل أسلوب الاستنكار لدفعهم للتدبر والتفكير، فافتتح الحوار هنا بالاستفهام من أجل كشف حقيقة ما يعبدون:"﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾"، فـ:"كان إبراهيم (عليه السلام) يعلم أنَّهم عبدة أصنام، ولكنه سألهم ليريهم أنَّ ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء..."[٤٠]، ونجد في قوله تعالى:"﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾"، أنَّ هذه الآية الكريمة إجابة عن سؤال صوري سابق ذكره، فتضمن زيادة في الجواب، قد تم خرق لقاعدة الكم، قيل:"﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾"، استلزمت هذه الزيادة تبيان فخرهم بما يعبدون: "وأطالوا في الجواب ولم يقتصروا على قولهم: أصناماً كما هو مقتضى السؤال؛ ابتهاجاً بعبادتها وافتخاراً بها بإطالة الحديث عنها"[٤١]، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ):"فإن قلت :(ما تعبدون)، سؤال عن المعبود فحسب، فكان القياس أن يقولوا أصناماً"[٤٢]، كقوله تعالى: "﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾"[٤٣]، وكلمة (أصناماً) تستلزم وجود أصناماًكثيرة وليس صنم واحد، ومن هنا بدأت محاججة إبراهيم(عليه السلام) من أجل إقناع والده وقومه؛ لإيقاظهم من غفلتهم، فقال لهم إبراهيم (عليه السلام)، هل يسمعونكم هذه الأصنام التي تعبدونها إذ دعوتموها، أي هل يسمعون أصواتكم أو ينفعونكم بشيء من المنافع أو يضرونكم بشيء من المضار، وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ من لا يملك النفع والضر لا تحسن عبادته؛ لأنها ضرب من الشكر ولا يستحق الشكر إلا بالنعم، فمن لا يصح منه الانعام يقبح شكره، ومن قبح شكره قبحت عبادته، فأجابوا بقوله تعالى: "﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾"، إذ عرفوا إنَّ الحجة عليهم لإبراهيم سواء قالوا: (نعم أو لا)، فحينئذ أجابوا جواب لم يكن جواباً لسؤاله، فانتهك مبدأ المناسبة أي ابتعد عن الملائمة، بل ضرب انتقالي تفادوا به الإجابة عن استفهامه، وكأنهم وجدوا أنفسهم حقيقة في معزل عن التفكير والمساءلة، وأنَّهم لم يرجعوا إلى عقولهم فيناقشوا ما يعبدون: هل يسمع هل ينفع هل يضر، أحالوا على مجرد التقليد دون التأمل والتفكير أو النظر إلى عواقبه ونتائجه[٤٤]، وهكذا أصبح التأويل في الآية الكريمة يؤدي إلى أكثر من معنى على حساب أن جوابهم غير واضح وخفي لا يستحق الإجابة.

أما الاستلزام الحواري في قوله تعالى:"﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿ ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾"[٤٥]. إذ جرى الحوار بين الله سبحانه وتعالى ونبينا موسى (عليه السلام) وهي قاعدة عامة لخطاب اعتيادي سأله الله تعالى إياه، حينها يعمد المجيب إلى إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه وقد سماه بعض البلاغيين بـ(التلفيف)، وهو: "إخراج الكلام مخرج التعليم

وهو أن يقع السؤال عن نوع من الأنواع تدعوا الحاجة لبيان جميعها، فيجاب بجواب عام عن المسؤول عنه وعن غيره ليبنى على عمومه وما بعده من الصفات المقصودة "[٤٦]. فهذا الخطاب شكل اتساع بما يستلزمه الحوار، إذ سأله سؤال أجابه بأكثر من المطلوب فانتهك مبدأ الكم هنا، إذ ذكر أربعة معاني عندما قال:"﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾"، يعني حاجات أخرى غير ذلك، يحتاج إليه في العصا، كالدفاع عن النفس أو ضرب الناقة التي يركبها.. الخ، وغير ذلك من فوائد العصا التي أُجملت، فهنا بيّن ثم أجمل يكفيه أن يقول عصا ويسكت، مقصود السؤال هنا هو على وجه التقرير، أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها، فسترى ما نصنع بها الآن، وإقراره بأنها (عصا) ليست أكثر من ذلك، فيزداد بعد ذلك يقيناً بقدره الله سبحانه وتعالى عندما يريه منها حالاً أخرى، أي عندما يرى العصا قد انقلبت حية تسعى، ولا يمكن أن تكون هذه العصا التي بيمينه بهذه المثابة إلا بطريق المعجزة[٤٧].

وقد جرى الحوار بين الله تعالى والمنافقين يتكلم عن المراد بالفساد، إذ قال تعالى: "﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾"، فأجاب المنافقين: "﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾"، من قوله تعالى في سورة البقرة: "﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾"[٤٨]، أي إذا نُهي هؤلاء المنافقونعن الإفساد في الأرض وهو العمل بالكفر والمعاصي، ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين: "﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾"، أي فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح قلباً للحقائق وجمعاً بين فعل الباطل واعتقاده حقاً وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية مع اعتقاد أنها معصية، فهذا أقرب للسلامة وأرجى لرجوعه[٤٩]، ففي هذا الحوار بين الله تعالى والمنافقين حدث خرق لقاعدة الكيف،إذ قال تعالى: "﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾"، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد (ﷺ) والقرآن، وقيل معناه: لا تكفروا والكفر أشد فساداً في الدين[٥٠] فـ"﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾"، هذه ليست إجابة حقيقية فـ: هم كاذبون: لا يفعلون بالإصلاح في الأرض، ويكفرون بالله قلباً، ولكن يظهرون الإصلاح، فسنجد أنه قد تم خرق قاعدة الكيف، الذي يقوم على أن لا تقول ما تعلم خطأه أو كذبه .

وقوله تعالى: "﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾"[٥١]، فقد جرى الحوار هنا بين الله تعالى

والملائكة، إذ يتكلم عن خلق آدم واستخلافه في الأرض فقال تعالى"﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وقالت الملائكة: "﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾"، وقال الله تعالى: "﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾"".

إذ إنَّ الخطاب الاعتيادي هو قوله تعالى" ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾"، وقد روي أنَّ خلقاً يُقال لهم الجان كانوا في الأرض إذ أفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله سبحانه وتعالى ملائكة أجلتهم من الأرض، وقيل: إنَّ هؤلاء الملائكة كانوا سكان الأرض بعد الجان، قالوا: يا ربنا أتجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء، فإنْ كان عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي نصلي لك، فسؤال الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني ادم، وإنما هو سؤال على وجه التعجب من هذا التدبير والاستخبار منهم والاستعلام على وجه المصلحة والحكمة فيه، فقال الله تعالى مجيباً لهم: "﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾"، من المصلحة الراجحة في خلقهم، وقيل إني أعلم أنَّه سيكون من ذرية ذلك الخليفة: الأنبياء والرسل والعلماء والطاعة ما لا تعلمون، فإنْ قيل كيف علمت الملائكة بذلك وهي لا يمكنها أن تستدرك ذلك بالنظر والفكر والتأمل، قلنا قد يجوز أن لا يكون خطر ببالها ذلك إلا عندما أعلمهم الله تعالى، فلما علموا ذلك فزعوا إلى المسآلة عنه؛لأنَّ المسآلة لمن يتوقع سرعة جوابه، أو يوثق بعلمه وخبره، يقوم مقام النظر والفكر، وقيل: إني أعلم من وجود إبليس بينكم ومعصيته لي،أي إنَّي أعلمُ بالظواهر والسرائر[٥٢]. فجواب الله تعالى للملائكة كان جواباً غير مباشر وخفي مخالف لقاعدة الطريقة؛ لأن جوابه كان إجمالاً يحتاج إلى تأمل واستيعاب دقيق .

وقوله تعالى"﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾"[٥٣]، فسياق الآية يشير إلى أنَّ حوار جرى بين النبي إبراهيم (عليه السلام)، وبين قومه فهو يدعوهم إلى التوحيد، وهم يصرون على عباده الأصنام فقام إبراهيم بتحطيمها إلى قطع صغيره ليبين لهم عجز آلهتهم بالدفاع عن أنفسهم إلا كبير الأصنام قد تركه لعلّهم يرجعون إليه ليسألونه عن الفاعل، وأنَّه لم يدافع عن صغار الآلهة، حينئذ يعرفوا بأنهم لا قيمة لعبادتهم، فيرجعون إلى صوابهم لكن عطلوا عقولهم عن التفكير وعُمِّي التقليد أفكارهم عن التدبر والتأمل فحينئذ سألوه:"﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾"، سؤال عن كونه محطم الأصنام، فلما قال إبراهيم (عليه السلام): " ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾"، هنا ابتعد عن الملائمة، جاوب جواب بعيداً عن السؤال نفى إبراهيم (عليه السلام)

التهمة عن نفسه ونسبها إلى كبير الآلهة تبعاً لقوله تعالى ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾، أي لم افعله أنا بل فعله كبيرهم على سبيل التعريض فهو:" لفظ اسْتُعْمِلَ في معناهُ للتلويحِ بغيرِهِ"(٥٤). أمّا الإخبار بقوله تعالى: "﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾" ليس كذباً وإنْ كان مخالفاً للواقع ولاعتقاد المتكلم لأنَّ الكلام والاخبار إنمّا تستقر بأواخرها وما يعقبها، كالكلام المعقب بشرط أو استثناء، فإنَّه لما قصد تنبيههم على خطأ عبادتهم الأصنام، يقتضي إدراك العاقل بأنَّ لا قيمة لعبادتهم إياها عودوا إلى أنفسكم فالأحجار لا قيمة لها، مهدّ لذلك كلاماً هو جار على الفرض والتقدير كأنه قال: لو كان هذا إلهاً لما رضي بالاعتداء على شركائه، فلما حصل الاعتداء عليهم بمحضر كبيرهم تعين أن يكون هو الفاعلَ لذلك، ثم ارتقى في الاستدلال بأنَّ سلب الإلهية عن جميعهم بقوله تعالى: "﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾"، كما تقدم. فالمراد من الحديث أنَّها كذبات في بادئ الأمر، وأنَّها عند التدبر والتأمل يظهر المقصود منها، وذلك أنَّ النهي عن الكذب إنَّما علّته خدع المخاطب وما يتسبب على الخبر المكذوب من جريان الأعمال على حسابٍ الواقعُ بخلافه، فإذا كان الخبر يُعقب بالصدق لم يكن ذلك من الكذب بل كان تعريضاً أو مزحاً أو نحوهما(٥٥).

وقوله تعالى: "﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾"(٥٦)، إذ جرى الحوار هنا بين بني إسرائيل والنبي موسى (عليه السلام) يتكلم عن قصة بني إسرائيل مع البقرة التي أمرهم الله وتعالى بذبحها. وعن أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٦هـ) في تفسيره(٥٧)، كما قال الْكَلْبِيُّ: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا النبي موسى (عليه السلام) أنْ يدعوا الله ليبيّن لهم بدعائه فأمرهم الله بذبح بقرة، فقال لهم النبي موسى: "﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾"، فلما سمعوا ذلك منه وليس في ظاهره جواب كما سألوا عنه: "﴿قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾"، أي تستهزئ بنا نحو نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لِبُعْدِ ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه، قال النبي موسى (عليه السلام): "﴿أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾"؛ لأنَّ الخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزءِ جهل، فالجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم القوم أنَّ ذبح البقرة عزمٌ من الله تعالى استوصفوها، ولو أنَّهم عمدوا إلى أدنى بقرة، فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم أبَوْا إلا الاعتراض شددوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم هذا الحوار فيه انتهاك لمبدأ المناسبة؛لأنَّ إجابة بني إسرائيل بـ"﴿قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾"، إجابة غير مناسبة لحديث يقوله

الله تعالى:"﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾"، يقتضي أنْ يقولوا (نعم أو لا)،بإجابة مباشرة لكنهم أجابوا إجابة غير مباشرة: "﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾"، أي أتتخذنا هزواً وسخرية، فقال النبي موسى(عليه السلام):"﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾"، هنا إجابة نبينا لهم كانت مخالفة لقاعدة الطريقة؛ لأنَّه فيه نوع من الالتباس والغموض بكلمة من الجاهلين.

وكل ما تقدّم من النصوص القرآنيَّة وما يحمله من الغموض أدّى إلى اتساع المعانيّ في فهم النَّصّ.

خامساً: علاقة الاستلزام الحواري بالتكرار:

القرآن الكريم كلام الله المعجز رغم تعاقب الأزمنة عليه فهو لا ينتهي إعجازه، وعلى الإنسان التأمل والتفكير في آياتها حتى يرى إعجاز الله تعالى فيه، فأنت ترى أن اللفظة في القرآن الكريم كأنَّها تتكرر أكثر من مرة ولكنها ليست كذلك، وإنَّما توضع كلّ لفظة في موضعها المناسب حسب ما يقتضيه السياق القرآني، تتكرر اللفظة مرتين أو ثلاثة... ، لكن القصد والمعنى مختلفان. والاستلزام الحواري:أنَّك تقول شيئاً ولكن تقصد شيئاً آخر غير الذي يُقال، فهنا الأمر نفسه: هو أن تذكر اللفظة مرتين أو ثلاثة...، لكن في كلّ مرة يقصد بها معنى جديداً يختلف عن المعنى الأول، أي تتكرر اللفظة في كلّ موضع أكثر من مرة لكن لن يحمل المعنى نفسه، وإنَّما لكلّ لفظة لها معناها المناسب حسب السياق. كقوله تعالى في سوره الرحمن التي تكررت فيها آية: "﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾"، واحداً وثلاثين مرة، وعند قراءتها يرى معاني متجددة لها في كلّ جانب لا تحصل في الجوانب الأخرى وهكذا ذكرها (٣١) مرة لكن لم يقصد المعنى نفسه، إذ في كلّ جانب تحمل معنى متجدد، عندما يذكر نعمة من النعم يذكر بعدها: "﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾"؛ لأنَّه يريد لفت النَّظر إلى كلّ واحدة على حده.

وقوله تعالى: "﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾"[٥٨]. إنَّ لفظة (الإحسان) الأولى تحمل معنى يختلف عن معنى لفظة (الإحسان) الثانية، والسياق القرآني هو الذي يحدد معنى كلّ لفظة، وإنَّ كلّ لفظة وضعت في موضعها المناسب، فمعنى الإحسان الأولى: "﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾"، كما فسّرها النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقوله:"هو أنْ تعبد الله كأنك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك "[٥٩]، إذ الإحسان هو الإخلاص في العمل، أمّا الإحسان الثانية في قوله تعالى: "﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾"، الثواب بالدار الآخرة[٦٠]، فالإحسان الثانية هي استجابة طبيعية للاحسان الأولى، أي أنَّ الثواب والنعيم في

الدار الآخرة هي مكافأة لكلّ من اخلص في عمله، نلاحظ لفظة الإحسان تكررت مرتين لكن لكلّ واحدة معناها الخاص يختلف عن المعنى الآخر، وهو ما يحدده السياق.

إذ نجد تكرار اللفظة الواحدة في آيات متعددة من قوله تعالى: "﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴿٩﴾"[٦١]، للسائل أن يسأل عن تكرار لفظة (الميزان)، ثلاث مرات في أواخر هذه الآي وكان حقها الإضمار، فأجيب: بأنَّ السبب في ذلك أنَّ هذه الآيات لم تنزل معاً في وقت واحد وإنَّما نزلت متفرغة، ولو نزلت معاً لأضمر ذكر الميزان، وقيل: إنَّ سبب ذلك هو كلّ آية مستقلة بنفسها غير مفتقرة إلى غيرها والذي يعتمد[١] عليه، هو أنَّ يجعل لكلّ واحد معنى غير معنى الآخر، وذلك أنَّ الميزان من قوله تعالى: "﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾"، يعني وضع البنية المعتدلة في كلّ ما أبدع الله عز وجل وصوّر، وهي بنية الإنسان الذي خلق من أمشاج، ومن تأليفات مختلفات على اعتدال من حرارة وبرودة، ورطوبة ويبوسة، ورفع السماء عن الأرض، وخلق الهواء بينهما.

أما(الميزان) من قوله تعالى: "﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾"، الحكم بالعدل كراهية الاعتداء كقتل نفسين بنفس، وقطع أذنين بأذن، وأنفين بأنفٍ واخذ أموال بمال، وفَقْإ عينين بعين، وغير ذلك من مجاوزة الحد في القصاص .

أما (الميزان) من قوله تعالى: "﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾" هو آلة التعديل: وهي التي يقع بها الأخذ والإعطاء، فيتبين بها مقادير الحقوق، ليقتصر كلّ ذي حق على قدر ما يجب له منها فلا يأخذ أكثر من مما له ولا يعطي أقل مما يجب عليه، وهو (القسط) الذي أمر الله تعالى به لا رجحان ولا نقصان[٦٢]، وإذا كان كذلك لم يكن في أعاده لفظ الميزان تكرار، إذ كان الأول بمعنى غير معنى الثاني، والثاني بمعنى غير المعنى الثالث.

يتبيّن ممّا تقدّم أنَّ الاستلزام الحواري يُعدّ من أكثر المفاهيم الواضحة التي تقوم عليها نظرية التداولية، فهو يتكون من مبادئ عديدة وعند خرق إحدى هذه المبادئ يحصل هنالك اتساع في المعنى، إذ إنَّ وجود أكثر من مبدأ في حوار واحد، يظهر هنا إعجاز القرآن الكريم، فالألفاظ تحمل معانيّ أكثر مما تعطيه الصورة الحرفية، فإنَّه يقوم على مسألة العدول غير المباشرة في الأفعال

الكلامية لا يصرح به المتكلم، وإنَّما يحتاج إلى تأمل عام واستيعاب دقيق لفهم النَّصّ القائم على الاتساع والإعجاز.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت فيها ظاهرة الاستلزام الحواري وأثره في اتساع المعنى،يمكن أن أُوجز أهم ما توصلت إليه في هذا البحث بمجموعة من النقاط:

١-يُعدّ دراسة المعنى التواصلي العامل الأساس الذي تسعى إليه عملية التأويل لتحليل الخطاب والنص،إذ إن التداولية تعنى بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم ويفسرهُ المتلقي،فإنها تهتم بتحليل ما يعنيه الناس من ألفاظهم،فالتداولية إذن هو دراسة مقاصد المتكلم.

٢-يُعدّ الاستلزام الحواري من أكثر المفاهيم الواضحة التي تقوم عليه عملية التداولية.

٣-يقوم الاستلزام الحواري على مسألة العدول غير المباشرة أو ما يدعى بالمعنى الضمني.

٤-يتكون الاستلزام الحواري من مبادئ عديدة،فعند خرق إحدى هذه المبادئ يحصل هنالك اتساع للمعنى ،إذ ينتقل المعنى من معناها الحرفي إلى المعنى المستلزم.

٥-تعد قرينة السياق العامل الأساس في كشف وبيان مقاصد المتكلم،فيجب الاستناد عليه لمعرفة الحدث الكلامي.

-المصادر والمراجع.

- **القرآن الكريم.**

❖ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة أستاذ العلوم اللغوية كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢.

❖ الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب،د.علي عِزَّت، ط١، ١٩٩، شركة أبو الهول للنشر.

❖ الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي،أ. د. نادية رمضان النجار،أستاذ العلوم اللغوية ، كلية الآداب،جامعة حلوان،ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

❖ الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي ادراوي ، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، منشورات الاختلاف.

❖ إعراب القرآن الكريم وبيانه،محي الدين الدرويش،ط٧، (٣٨٥-٤٦٠هـ)، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع.

❖ التبيان في تفسير القرآن، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي،(٣٨٥- ٤٦٥هـ)، تحقيق وتصحيح، أحمد حبيب قصير العاملي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

❖ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنشر وبيان إعجاز القرآن لأبن أبي الأصبع المصري، (٥٨٥- ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق، حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،لجنة إحياء التراث الإسلامي.

❖ التحرير والتنوير،سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد بن طاهر بن عاشور ، جميع حقوق الطبع محفوظة للدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.

❖ تحليل الخطاب، بروان – ويول، ترجمة وتعليق، د. محمد لطفي الزليطي،د. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود.

❖ التداولية،جورج يول، ترجمة،قصي العتّابي،ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م،دار الأمان، الرباط.

❖ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية،في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت.

❖ التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشية ، ترجمة، صابر الحباشة ، ط١، ٢٠٠٧م، دار الحوار للطباعة والتوزيع.

❖ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة، د. سيف الدين دغفوس، د.محمد الشيباني، مراجعة، د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة.

❖ معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق، خالد عبد الرحمن العك،دار المعرفة، بيروت.

❖ تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي،(ت٧٧٤هـ)،وضع حواشيه وعلق عليه،محمد حسين شمس الدين،ط١٤١٩،١هـ-١٩٩٨م،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، منشورات، محمد علي بيضون.

❖ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه، د. بشار عواد معروف ، عصام فارس الحرستاني، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م ، مؤسسة الرسالة .

❖ الجامع لأحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان،أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،(ت٦٧١هـ) تحقيق،عبد الله بن عبد المحسن التركي،شارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي،ماهِر حبّوش، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م ، مؤسسة الرسالة.

❖ درة التنزيل وغرة التأويل،لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الاصبهاني المعروف بالخطيب الاسكافي، (ت٤٢٠هـ) دراسة وتحقيق وتعليق، د. محمد مصطفى آيدين، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٤٦٧-٥٣٨هـ) تحقيق وتعليق ودراسة، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،الشيخ علي محمد معوض،شارك في تحقيقه، أ.د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان، الرياض،طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة.

❖ لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر، بيروت .

❖ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط١، ١٩٩٨م ، المركز الثقافي العربي.

❖ اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، أحمد المتوكل، ط٢،٢٠١٠م دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ، طرابلس الجماهيرية العظمى.

❖ المدارس اللسانية المعاصرة،نعمان بوقرة،أستاذ اللسانيات بقسم اللغة العربية،مكتبة الآداب.

❖ مدخل إلى مقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني، ط١،١٤٣١هـ- ٢٠١٠م،دار الكلمة.

❖ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،أحمد مطلوب،مكتبة لبنان ناشرون، طبع في لبنان، ٢٠٠٧، الحقوق كاملة محفوظة.

❖ مفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ط١،١٤٠١هـ- ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر.

❖ مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، ط١،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

❖ المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو، ترجمة، د. سعيد علوش.

❖ النظرية البراجماتية اللسانية(التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، ط١، ٢٠١٣، مكتبة الآداب، القاهرة.

❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ-١٤٨٠م) دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

ب- البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية.

❖ قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، حمو الحاج ذهبية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، دار الأمان، العدد الثاني.

الهوامش:

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٩، والتداولية اليوم:٢٩.
(٢) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٦ .
(٣) المقاربة التداولية: ٨ .
(٤) المصدر نفسه: ٨ .
(٥) ينظر: التداولية: ١٩ .
(٦) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٢- ١٣.
(٧) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية: ٢٢ .
(٨) ينظر:الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٠١ .
(٩) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤.
(١٠) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٥ .
(١١) المصدر نفسه: ١٦٦ .
(١٢) مدخل إلى مقاصد الشريعة:٩ .
(١٣) ينظر: نظم الدرر: ١ / ١١ .
(*) في هذا الفصلركزت على الاستلزام الحواري؛ لمدخليته الأساسية في اتساع المعنى.
(١٤) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٢ .
(١٥) التداولية من أوستنإلى غوفمان: ٦٨ .
(١٦) ينظر: اللسانيات الوظيفية: ٢٦ .
(١٧) تحليل الخطاب، براون – ويول: ٤١ – ٤٢ .
(١٨) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٣ .
(١٩) ينظر: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب: ٥٢ .
(٢٠) ينظر:التداولية من أوستن إلى غوفمان:٦٨، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٥١ .
(٢١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٢ .
(٢٢) ينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار: ٦٠ .
(٢٣) ينظر: تحليل الخطاب: ٣٠٦ .
(٢٤) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٣-٨٤ .
(٢٥) سورة آل عمران، الآية: ٨ .
(٢٦) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ٩٦- ٩٧ .
(٢٧) ينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٦٠ .
(٢٨) ينظر: اللسان والميزان، طه عبد الرحمن: ٢٣٨ .
(٢٩) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ٩٨ .
(٣٠) اللسانيات الوظيفية: ٢٦ .
(٣١) ينظر: قوانين الخطاب في التواصل الخطابي: ٢٢٠ (بحث) .

(٣٢) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ٩٩ ، واللسانيات الوظيفية: ٢٦ –٢٧، والتداولية اليوم: ٥٥ – ٥٦ ، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤، والتداولية من اوستن إلى غوفمان: ٨٤ – ٨٥ ، واللسان والميزان: ٢٣٨.

(٣٣) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٠٠ – ١٠١ .

(٣٤) ينظر: اللسانيات الوظيفية: ٢٦ – ٢٧ ، والاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٠٢.

(٣٥) ينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٨٢ .

(٣٦) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٠٤ .

(٣٧) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ٣٤، واللسانيات الوظيفية: ٢٦.

(٣٨) تحرير التحبير: ٥٦٥ .

(٣٩) سوره الشعراء الآيات: ٧٢ – ٧٤ .

(٤٠) الكشاف: ٤ / ٣٩٦ .

(٤١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٥٨ .

(٤٢) الكشاف: ٤ / ٣٩٦ .

(٤٣) سورة البقرة؛ من الآية: ٢١٩ .

(٤٤) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٥ / ٤١٥ ، والتبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٣١ .

(٤٥) سوره طه، الآيتان: ١٧– ١٨ .

(٤٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٤١٣ .

(٤٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧ / ١٦٦ – ١٦٧ ، ومفتاح العلوم: ١٧٨، والجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ٤١ وما بعدها، وتفسير القرآن العظيم: ٥ / : ٢٤٦ – ٢٤٧ ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤ / ٦٦٦ .

(٤٨) سورة البقرة، الآية: ١١ .

(٤٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣٢ .

(٥٠) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ٨٨ .

(٥١) سوره البقرة، الآية: ٣٠ .

(٥٢) ينظر: جامع البيان: ١ / ١٦٢ – ١٦٥ ، التبيان في تفسير القرآن: ١ / ١٣٢ – ١٣٤، ومفاتيح الغيب:٢ / ١٨١ –١٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم: ١ / ١٢٤ – ١٢٨ .

(٥٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٢– ٦٣ .

(٥٤) الإتقان في علوم القرآن :٢ / ١٣٢، وينظر: مفاتيح الغيب:٢٢ / ١٨٤– ١٨٥، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: ٥ / ٥٣ .

(٥٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧ / ١٠٢ .

(٥٦) سوره البقرة، الآية : ٦٧ .

(٥٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١ / ١٢٧ .

(٥٨) سورة الرحمن الآية: ٦٠ .

(٥٩) لسان العرب، مادة(حسن): ١٣ / ١١٧ .

(٦٠) ينظر: الكشاف: ٦ / ١٨، وتفسير القرآن العظيم: ٧ / ٤٦٦ .

(٦١) سوره الرحمن، الآيات : ٧–٩ .

(٦٢) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ٣ / ١٢٢٩ – ١٢٣٦ .